



توفيق صايف

بضع أسئلة
لأطرحها على
الكركدن

● في فجرنا الاول في موكب التسمية ،
والجحافل تسري امام المنصة ،
وكل حيوان كالمستعرضين زوجان ،
تقدمت الموكب من غير قرين ،
والكل مكتمل مكثف يمشون بخطو موحد
قندتهم وحيداً كالقرن في وسط رأسك ،
مهرولاً قلق الخطى تفتش بالعينين ، بالشيق ،
على المتعدرة الوجود حتى في جنة العلاء .
في الفجر الكبير في الموكب الشامل
وحدك والاله الوحيدان .

● وكسبه لعوائسه سعيك لعذرائك .
قروناً طاردها فتش في كل زاوية ،
وارتاح الذي جدها وتبدل .
مثلك الحب العذرة . ومثلك ابقي عليها .
اله حق وحيوان خيال :
افما تختلف النتائج ؟
ارادها حباً له فكانت الحبيب .
واما فغيبتة تسعة شهور
وولدت له كما شاء وسقته مع الشهد الحليب .
اله حق وحيوان خيال
والسعي احد :
فكيف تختلف النتائج ؟
دمها المصان ألم

يستسقى دمه ولم يكن اقنى من دمك ؟
والسنون الثلاث والثلاثون
أأطولُ في عمر الاله من الساعات في عمرك ؟

● حبك العذراء حبُّ الاله لها
انكفاءُ ذي القرنين عنها المشقق الحافر .
ارضٌ حرامٌ عليه ، تربةٌ مقدسة .
سواها يقلبن مسامهن اعضاء جنس
مذابح كفر وفحش ، يتلوين ،
يفتحن سيقانهن كافرات بوجه السماء .

● وبمسراك الطويل
عبر الاخاديد والوعر المجاري والتلال ،
كم مرة في الليالي الداكنات
برقت اذ مرقت في ضواحي البيوت المبعثرة ،
وانسبت كخاطر وضيء واجفلت لما رأتك الجرار
بين يسري مشققة ورأس من غير غيم
وانحدرت يميني من الورك تتملتي
ترود ارجاءها المتشوقة لـ ، غير يدها ، يد .

وفي الدروب وبين الشجر
لقيتهن ووسعت عيونهن :

ألم تنتعش بالنظرات أو لم يستهوك قرار
 أو لم تحثك رجلاك على الاستراحة وعروقتك ان تفيء لليلة ،
 أو لم تضطرب الحصون الخائنة
 وتبعث لك بالدعوات بالامر بالاستغاثة ،
 ولم يهتز رادار انفك ،
 ايها المحب الغريب الذي لا ينقل
 واسطورة الحب الوفي ،
 يا خيالي الميول لا الوجود
 (اجدادنا القدامى حللوا لحمك « وقد اكلناه ») ،
 بل اسرع ركضت اسرع
 في قدميك جناحان في ذيلك فلفل
 تطلب الوحيدة الداعية المستغيثة الامرة ؟

● ابدأ بطاردونك .

وحوش الغاب ليست اشد عليك من القانصين الرشاقي .
 بطاردونك ، وتطاردها ، معاً
 ليحملوا الموت لك لتحمل لها المحبة والعبادة لتحمل الموت لك .
 ورجلاك لا تتعبان وانفك لا يكل .
 والطرادان لا ينتهيان الا بانتهاك :
 واحدة نهايتاها فيهما انتهاؤك .

● حياتك وتيرة واحدة :

ما كان حتى النهاية منذ البدء كان قبل البدء كان .
 ولدت قويا متكاملا سوياً نابت الاسنان والقرن شديد الخوافر ،
 وخطفت ممزقا الرحم
 ناشداً الرحم الذي لن تمزق .
 اشهرك في الرحم اشهر حجري مقتته قوتضت بنيانه
 مرة ومرة تستهل سعيك
 وأرجعت اليه لتكمل الفترة التي حكمت .
 بلا اخ بلا اخت بلا حليل او خليل .
 يد امك امتدت اليك
 لا لتطعم فاك لتشبع من لحمك الغض فاها .

● ولما اقتربت اليها وبشرت قدميك بالراحة

ورأ سك بالوسادة وانفك بعير لا يتبخر ،
 أ زاد في بشرك بشرها
 أنستك سني ومتاعب السعي لها سنو ومتاعب انتظارها لك ،
 أشعل اهتياجك ثم بلله
 لدى ارتمائك على حضنها اعتناقها لك ؟
 الصيد في اثرك وانت في اثر عذرائك .
 واصطدت عذرائك وما الذي اصطادته فيك ؟
 هل صدقت

ان هذا الابيض الصغير الطريف الهارح اليها
 خلف قرن مديد عنيف حيوان خرافي تحقق ؟
 اما خيل اليها وقرنه كاد يخرقها
 ان الاله الخرافي تحقق وانه الآن انتقاها

وانتقى (يا للازعر المحبب)
 قالبا له ابهى مما انتقى ليظفر بآتراب لها في القديم ،
 من البجعة المضحكة المؤخرة او الثور الغليظ مها تلاطف
 او مزوخ اللجين المشع المخيف ،
 واين ، تحزرت ، سيعلو بها
 واية كوارث او مدهشات ستلد
 واية آتات وآهات سيعرف الليلة الاله الشيق
 تلك التي لم تعرف مثلها مع رجل ؟

● بعد ركض السنين ليلة ارياح .
 رميت برأسك في حضنها ولويت قرنك عنها بعيدا .
 لاعبتك ووقعت اصابعها على اوتارك
 انغاما تشوقت لها طويلا طويلا .
 اخذت ثدييها . لسانك لم يرتو : الفطام احتضارك .
 بادلتك دعاها بدعاب ، مبتدىء ومبتدئة ، غر وحاذقة .
 سخسخت ، وافتدت اللحظات مطاردة طراد العمر .
 ارتحت . واضطربت .
 المقبلات طيبة ، لا تشيع .
 وارتياحك يرضيها ويضنيها اشد
 احساسها خلف ارياحك بما تخفض من لا ارتياحك .
 وقرئك (ينطح القيل يغارك الليث)
 اهزوة ، مسبة ، والوهتك تبعث التجديف والارتداد وحسب .
 غريب عر سكما
 في سجلات الارض والسما ومواطن الجن .

بضع ابدلة

حسبتك حرصت على العذرة كشرقي متزمت
حباً بالدم لا يكتمل العرس بدونه .
احجمت على اسالة الدم ،
ولن ترضى بعرس ناقص : عوضاً عن دماها دماك .

● حيوان وامرأة :
فاحتضنت الجسد الذي
وارتمى ساكننا على حضنها
اله في خيالتيهما وإلهة .
خالته لن يعرف ارتخاء ،
يخاله لا جسد .
هفوة ، ثارت عليها ،
هفوة ، ابقت الحب حباً ،
قلبت الحب مقتا واحتقاراً ،
تقبل لأجلها العاقبة .

● احسبتك فارساً وسيطاً الفى على صخرة سيدة
فراح يحببها « من عدو يرى » واعداء في الخيال ؟
أرحت تحرس فيها تدفعه عنه السوى تدفع قرنك عنه وتأججك
ما احتضنتك لتطعنه وآوته لتفقده
وارتخت وفود الهناء بهجرانه الدامي لها ؟
اما ادركت ان موته حياة والموت في حياته ؟
وانك بنصب قرنك الصارم أمام بابها المقفل
تدد الخيرات الخبيثة ؟
أمماً خلقتها لارتمائك في حضنها وليدأ في حضن أم
وهي تود الامومة المتأتية والالام والنشوة
لا المنزلة عليها بلا الم ولا نشوة ؟

● احسبتك ناسكا وسيطا صومه والعزلة ومواطنة الضواري
 نصف كفارة ولا يكتفي بغير كفارة ونصف كفارة؟
 عظامه النافرة تغرز الليل كله
 (وحدها عظامه النافرة) في الجسد البض قربه
 اسير لياليه الف كفارة عن غير اثم ، حسب لا معتقد
 صوم وعزلة و (آ) لا ضواري ،
 أدارها في نعشها - فرشته وثيقة اثبات بحكمة
 وصاح في صلاته : الهي قتل الجسد؟
 عذراؤك وهي وقعت وثيقة اثباتك ،
 وقبل ان تصرخ في صلاتك حققت صلاتك
 وقتلت فيك الجسد .

● جثتها من المجهول ؟
 رأت يديك مقصا وجناحين لها ولك ،
 الفت يديك بقيد وقيد وجدتك اسطورة معكوسة :
 البطل الضحية ، يطلب ، لا يخلص ، الخلاص .
 ضحية ، أنقرن ذاتها بضحية ؟
 اعرج وعرجاء ، ايكوتان صحيحا ؟

● ارتحت . واضطربت .
 فهمت اضطرابها ، لكنها لم تفهم ارتياحك

وقد احسست هياج استعار حرقتيك
 وقام لقرنك قرن صغير مواز
 وعيناك تغيمان ولهاؤك يفضحك
 وكيف تفهم ان موتك الذي تشد
 لن يحققه الا تعفك ،
 ان تعفك موت آخر ،
 وانك اذ تشد موتا ،
 فالسما كريمة تمنحك الموت المزدوج ؟

● واخذت بقرنك بكلتا يديها بحزن بحزن
 وغمضت عينيك مرتاحا والبسمة ثابتة على شفتيك ،
 وزارت كما لم ترأر الاسود التي اعترضتك فما اخرت طرادكها
 وبعينين مغمضتين رأيت السهام المصوبة والخوذ
 وكانت تتساقط قدماً امامك من تلقاء ذاتها .
 ونظرت الى الحبيبة المخاتلة الى المخلصة القاتلة
 الى الوسادة الوثيرة انزاحت عن فم جب بغير قرار .
 اظننتها ستدافع عنك
 ظننت السهام ستكفي عاجزة تحت قدميها
 ظننتها ستمنحك حق اللجوء والحرم
 غافلاً عن انه يمنع من يدخل المعبد لا من ينزوي خارجة ؟
 طعنة ارادتك فاحجمت فكننت الطعين .

ولم تقاتل ولم تنتفض . بقبلة سلمتكَ وبدمعة ؛
 ولم تسفك دم صيادٍ امامَ رحمها
 وامامَ رحمها الحريرِ . سفكت دماك .

● لمن الطراد المستديم والجري بلا توقف ؟
 لمن هجر الجنان من قبل ان تلفظه الجنان
 والتنكر للراحة وعناق المخاطر ؟
 لمن الارتواء وهو القوي ؟
 لمن الاحجام وهو العتي ؟
 لمن اللاقتال ؟
 لها ؟ وللفاجعة .

كل خطوة تقربه لهذي وتلك ،
 كل صائد مخفق كل فيل وآسد
 كل عابرة لسبيل لم يضاً لم يخطط
 كل شبه عذراء ورجل بزي وعطرٍ متحل
 كل قردة لعوبة رقاصة
 (كل اياتي مهما اطلت فيها مطمئنتها
 شرعت ووقفت وابتدأت من جديد ،
 كل تساؤلاني الحيري وتكهّنات تنصارع بالرؤوس والاكف)
 شخوص مساعدة بأساءة عتيقة
 لا تصدّ البطل : قدماً تدفعه
 (بطلاً واعياً) للنهائية الدامية .

● بدمعة سلّمتك . واستسلمتَ ببسمة .

أَ مَنْ يَتَجَشَّأُ : الحلوَةُ القاسيةُ ،

مَنْ يرثي ندرَةَ الجميلةِ الحنونةِ ؟

أدائها هو فَرشَقها بسنانٍ ليس سنانَ المحبةِ ؟

والبسمةُ ، الاجنبيةُ على وجهه طوَالِ سعيه ،

مَنْ رسمها على وجهه الأيـداها تداعبا نه

وجسدها الفَج على لسانه ؟

من حفرها على وجهه لا تمحي

الا يداها تتمسكان بقرنه والزأرةُ الخائنة

واستمطارُها السهامَ واقتداؤُها لك ، عذراءُ

جميلةٌ — فناءٌ شربتَ من ثديها الحبَّ والموتَ ،

لاحقتهَا كما لاحقَ المسيحُ الصليبَ ؟

(تَشْدَانُ الفناءَ ؛ يفنى ليفدي

فالفناءُ موقتٌ والصليبُ الكسيرُ ،

وتفنى لتفندي فوُتَكَ الموتُ الاخيرُ) .

● آه لا تهزأ ؛ قارئي ، لا تنتقدهُ او تنتقدها :

مفجعةٌ ومفجعٌ ، شهيدٌ وشهيدة .

وارحمِ النذيرَ المكرَّشَ ، ألبستْ عيناه غماتينِ ،

نخصتْ حواسه ، خُتِمَ جوازهُ بتأشيرةٍ لبلدٍ واحدٍ

حُكِمَ فيه عليه ولا فرارَ

فلمْ يشأْ ان ينتظرَ في الليلِ قرعةً وقيداً وصغيرَ قطارٍ .

وارحموها : طلب الموتَ فيها طلبتَ فيه الحياة
 حياةً لها تفجّر فيها حياة ؛
 جادتْ عليه وُضِنَ
 فماتَ قريراً وكانت شهقتُها اعلی
 عند موته من شهقته .

● مت . وعاشت . واذا حماك ، مزغردین ،
 فريداً في مماتك كما في حياتك ،
 عادتْ لقربتها ، ولا قيدَ ولا جناحَ ولا حيوانَ ولا اله ،
 ارملةً تُكلى من غير زوجٍ او ولد .
 حملوا قرنك للعليك وارتمتْ على ادنى سرير .
 والتموا حواليك يخطفون الذخائرَ
 تُسهّل على النسوة مخاضهن تُشدّ في رجلهن العصير .
 بقروا بطنك ، بطنها انتفخ .
 مت . وعاشت : فأبكيك . وأبكيها .